الى الحيف وضمير الفصل لنفي ذلك عن غيرهم فان قيل اذا خيف ان يحيف الله
عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض فالكل
واحد فاي فائدة في التعديد اجيب بان قوله تعالى افي قلوبهم مرض
اشاربه الى النفاق وقوله تعالى ام ارتابوا اشار الى انهم بلغوا في حب الدنيا
الى حيث يتركون الدين بسببه فان قيل هذه الثلاثة متغايرة ولكنها
متلازمة فكيف ادخل عليها كلمة ام اجيب بانه تعالى نبههم على
كل واحدة من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها
شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول من ذلك كله واختلفوا
في سبب نزولها فقال مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا
في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق
نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل الله تعالى هذه
الاية وقد مضت قصتها في سورة النسا وقال الضحاك نزلت في
المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه ارض تقاسماها
فوقع الى علي ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها
اياه فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك
فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فقال علي بل اشتريتها ورضيتها
وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلا اتيه ولا احاكم اليه
فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت الاية وقال الحسن نزلت
في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر ولما نفى تعالى
عنهم الايمان الكامل بما وصفهم به كانه سئل عن حال المومنين فقال تعالى
انما كان اي دائما قول المومنين اي الفريقين في ذلك الوصف
اذا دعوا اي من اي داع كان الى الله اي الى ما انزل الملك الذي
لا كفو له من احكامه ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى ليحكم اي الرسول — ليحكم الرسول بينهم صح
ليحكم بما اراه الله تعالى في اي حكومة من الحكومات لهم او عليهم
ان يقولوا سمعنا اي الدعا واطعنا اي بالاجابة لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم وهذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع
بمعنى ان المومنين ينبغي ان يكونوا هكذا واولئك اي العالو الرتبة
هم المفلحون الذين وصفهم الله تعالى في اول المومنين وهذا على عادته
تعالى في اتباع ذكر المحق والمبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا
ينبغي ولما رتب تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص اتبعه عموم الطاعة بقوله
تعالى ومن يطع الله الذي له الامر كله ورسوله اي فيما ساءه وسره ويخش
الله اي فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي ليحمله ذلك على دامها في الباقي

ويتقه

ويتقه اي الله فيما بقي من عمره بان يجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية من المباحات
فيتركها ورعا فاولئك اي العالو الرتبة هم الفائزون بما لا عين رات ولا اذن
سمعت من النعيم المقيم وعن ابن عباس في تفسير هذه الاية ومن يطع الله
تعالى ورسوله فيما ساءه وسره ويخش الله اي فيما عمل من الذنوب فيما مضى
ويتقه فيما بقي وعن بعضهم انه سئل عنها فقال هي كافية لمن عمل بهذه الاية
وقرا ابو عمرو وشعبة وخلاد بسكون الها بخلاف عن خلاد وقالون باختلاس
كسرة الها وحفص بسكون القاف وقصر كسرة الها والباقون وخلاد
في احد وجهيه باشباع كسرة الها ولما ذكر تعالى ما رتب على الطاعة الظاهرة
التي هي دليل الانقياد الباطن ذكر حال المنافقين بقوله تعالى واقسموا بالله
الذي له الكمال المطلق وقوله تعالى جهد ايمانهم جهد اليمين بلغ اقصى
وسعها وذلك انه بالغ في اليمين وبلغ غاية سببها ووكادها وعن ابن عباس
من قال بالله فقد اجهد في اليمين لئن امرتهم اي امرا من الامور ليخرجن
مما هم ملتبسون به من خلاف كاينا ما كان وذلك ان المنافقين كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن
قمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله تعالى قل اي لهم لا تقسموا
اي لا تحلفوا فان العلم بما انتم عليه لا يحتاج الى الاقسام وههنا تم الكلام
ولو كان قسمهم صادقا لما نهوا عنه لان من حلف على القيام بالبر لا ينهى عنه
فثبت ان قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم يخالف ظاهرهم ومن نوى
الغدر لا الوفا فقسمه قبيح قال المتنبي

وفي يمينك ما انت واعدهم ... ما دل انك في الميعاد متهم

وفي رفع قوله تعالى طاعة معروفة ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا
مضمر تقديره امرنا طاعة او المطلوب طاعة ثانيها انه مبتدا والخبر
محذوف اي امثل او اولى او خير اي طاعة معروفة للنبي خير من قسمكم
الذي لا تصدقون فيه ثالثها طاعة مبتدا اي هذه الحقيقة طاعة
ومعروفة هي الخبر اي معروفة منكم ومن غيركم وارادة الحقيقة هو الذي
سوغ الابتدا بها مع تنكير لفظها لان العموم الذي يصلح له كان لوامن
اعرف المعارف والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد في اخفايها لا بد
ان تظهر مخايلها على شمايله وكذا المعصية لان ما اسر عبد سريرة الا
البسه الله ردا ما رواه الطبراني عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال
لو ان رجلا دخل بيتا في جوف بيت فادي هناك عملا اوشك الناس ان
يجدوا به وما من عامل عمل عملا الا كساه الله رداء عمله ان كان خيرا فخير
وان كان شرا فشر وعن سعيد لو ان احدا يعمل في صخرة صما ليس لها باب
ولا كوة لخرج عمله للناس كاينا من كان ان الله اي الذي له الاحاطة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)